الـــى (المفكرالمجدد) جمال البنا (2ـ4)

الظلم والاستبداد في الاسلام مثل الكفر والشرك .. وحين نقرأ كتب التاريخ بعقولنا سنجد انها تروي لنا العديد من مظاهر الاستبداد والمظالم والانحرافات عن قيم ومثل ومبادئ الإسلام .

أفتوا بتكفير ابن رشد وقتله وإحراق كتبه .. وهو ما حدث أيضا للفارابي وابن سيناء والرازي والخوارزمي وغيرهم .

الغريب إننا نحاول اليوم الدفاع عن عجزنا وتخلفنا بالتفاخر بأنّ الحضارة الغربية أخذت أسباب انطلاقتها العلمية من التراث الإسلامي، بل ومن ابن رشد على وجه التحديد .. ونتفاخر بأنّ الغربيين يعترفون بفضل ابن رشد على نهضتهم العلمية.. لكن الذين يلجؤون إلى التفاخر بالأثر الذي تركه تراثنا الإسلامي على تطور العلوم والحضارة في الغرب لا يمتلكون الشجاعة في تحليل الأسباب التي حالت دون الاستفادة من تراث علماء وفلاسفة المسلمين.. وإدانة الأسباب التي أزهقت أرواح أولئك الأفذاذ وصلبت جثتهم وأحرقت كتبهم ورمت الفلاسفة الذين نجوا من القتل والصلب في غياهب السجون حتى الموت .. وأوقفت حركة البحث العلمي في الميادين التي طرقوها وهو الدور الذي قام به الغربيون بعدنا.

من المفارقات العجيبة والمدهشة أنّ ابن رشد لم يتعرض فقط لظلم الفقهاء الذين أفتوا بتكفيره وقتله وإحراق كتبه .. بل وقتل كل من يقرأها ويحتفظ بها.. حتى أنّ مؤلفاته عندما تسربت إلى أوروبا وخاصة تلك المتعلقة بعلم الرياضيات تعرضت هي الأخرى للاحقة الأكليروس المسيحي وقساوسة الكنيسة المسيحية وعلى رأسهم القديس أوغسطين.. حيث أمر الأكليروس بإحراق ترجمات ابن رشد وقتل كل من يترجمها أو يتداولها.. وقد انتصر العلم في أوروبا لابن رشد بعد فترة من الزمن بالثورة على سلطان الكنيسة ومحاكم التفتيش التي يوجد ما يشبهها في تاريخ المسلمين.. لكننا لم نجرؤ حتى الآن على إدانة فقهاء الدولة الإسلامية الذين قتلوا بسلاح الفتوى عشرات العلماء والفلاسفة وأحرقوا بسلاح الفتوى كتبهم .. ومنعوا تدريس الطلاب في مدارس العالم الاسلامي علوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات حتى وقت قريب في القرن العشرين .. وتسبّبوا في نهاية المطاف بإيقاف وجمود حركة البحث العلمي والتفكير العقلي الحر.

لقد تعرض العقل لأبشع حملات القمع والتهميش والحصار من قبل فقه وفقهاء السلاطين على الرغم من أن القرآن أبرز فضل ومكانة العقل بما هو مناط التكليف .. حيث يسقط التكليف في غياب العقل .. وهناك آيات كثيرة تتحدث عن فضائل العقل والتفكير بدلا عن النقل والتسليم المطلق والأعمى بما يتم نقله وتوارثه قبل فحصه بميزان العقل .. " إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون .. لقوم يتفكرون .. افلا يتدبرون القرآن .. وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير " وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم من القول الحق حول فضائل العقل التي ينكرها من يسمون أنفسهم أهل الحديث .

الغريب في الأمر أن من يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة يعطون الحق للروايات والقصص والأحاديث التي رواها بشر مثلنا بنسخ القرآن والإضافة الى احكام الله !!؟؟ .. تصور يا أستاذي أحاديث وروايات مثار جدل وخلاف وينقلها الينا رواة من البشر تصبح فوق القرآن بل وتنسخ او تشارك أحكام الله الواردة في القرآن لتحل محلها أحكام مستنبطة من قصص وروايات نقلها الينا بعض البشر الذين دار حولهم جدل طويل عبر التاريخ .. فيما قام بتفسير وإعتماد هذه القصص والروايات بشر آخرون مثلنا نختلف مع الكثير من أفكارهم وأرائهم ومناهجهم التي لا يجوز أن نضفي عليها ثوب القداسة ونرفعها الى مرتبة كلام الله الوارد في القرآن .. بل وتمكينها من نسخ كلام الله أو الإضافة اليه بحيث يصبح كلام هؤلاء الرواة المنسوب لغير الوحي من كلام الرسول شريكا لكلام وأحكام الله في القرآن تحت مظلة السنة النبوية !!!!

ومن المفارقات العجيبة أننا عندما نجد أحاديث منسوبة للرسول تؤكد على فضائل العقل .. ينبري فقهاء النقل وحفظة نصوصهم ليكذبوها بجرة قلم .. ويقولون عنها بأنها ضعيفة وغير صحيحة .. بينما يصفون أحاديث لا يقبلها العقل بأنها صحيحة ويفرضونها كناسخة للقرآن أو شريكا لله من خلال الإضافة الى أحكامه التي أنزلها الينا في القرآن عبر الوحي الإلهي .. حتى يبدو الأمر وكأن من يسمون أنفسهم أهل الحديث إختطفوا القرآن والسنة النبوية معا ..ثم وضعوا أنفسهم في موضع من يملك الحق في نسخ القرآن والإضافة اليه من خلال فرض وصايتهم على الحديث والاصرار على أن كتب السنة التي وضعها الفقهاء ، تنسخ كتاب الله القرآن وتضيف اليه ،، مثلما فعل اليهود عندما ربطوا التلمود الذي وضعه الرواة والأسباط ثم نسبوه زوراً وافتراءاً إلى النبي موسى عليه السلام بكتاب الله التوراة .. وكذلك مثلما فعل الحواريون في الأناجيل التي نسبوها الى النبي عيسى عليه السلام ..وأصبحت قاضية على كتاب الله الانجيل ومحرفة له .

تصور أن ابن تيمية وابن القيم والذهبي وغيرهم ، يقولون بأن كل الأحاديث التي تقول بفضائل العقل كذب .. بل ويكررون انها كلها كذب ..الى درجة أن فقيها معروفا بتشدده وعدائه المسعور للعقل مثل ابن القيم الجوزيه وهو تلميذ إبن تيمية يزعم بجرة قلم في كتابه (المنار) بأن " أحاديث العقل كلها كذب " !!!!!

لقد أصبح العقل محاصر تماما يا أستاذي حتى ولو كان من يؤكد على فضائله وأهميته هو الرسول عليه الصلاة والسلام .. حيث ينبري أمثال هؤلاء الى تكذيبه مقابل الزعم بنسخ أحكام وآيات القرآن بواسطة روايات وقصص وأحاديث مثيرة للجدل والخلاف إخترعها الرواة .. وتبناها السلاطين وفقهاؤهم .. ولا يقبلها العقل السوي !!

إننا بحاجة إلى الوقوف أمام ضحايا الفتاوى الفقهية الاستبدادية من الفلاسفة والعلماء والمفكرين والفقهاء الأحرار في مختلف العصور الغابرة .. وتزداد حاجتنا إلى مثل هذه الوقفة عندما نلاحظ أنّ هناك من يقتله الحنين إلى ذلك الماضي .. ويرفع سيف التكفير والاتهام بالإرتداد عن الدين في وجه كل من يخالفه في الفكر والرأي تحت ذريعة إنكار السنة .. كما أنهم يرفعون هذا السيف في وجه وكل من يحاول أن ينتصر للعقل ويعيد الإعتبار اليه في هذا العالم الذي لا مكان فيه للجهل والنقل .. لا مكان فيه لغير الذين يمتلكون ناصية العقل العلمي .. ولا مكان فيه لمن لا يعترف بفضائل العقل .. بما في ذلك أولئك الذين لا يستحون ولا يخجلون في عصر ثورة المعرفة والمعلومات والتكنلوجيا الرقمية من القول بأن الأحاديث النبوية التي تؤكد على فضائل العقل باطلة .. وإن كلها كذب .. لأن فقهاء النقل .. فقهاء السلاطين والأئمة في العصور الغابرة أجمعوا على ذلك !!!!!!

البنا (مقاطعاً) : أنا أتفق معك على طول الخط في كل ما قلته يا أخي أحمد .. ولكني أريد أن أقول إننا لا نجد في التراث القرآني.. ولا في التراث النبوي حوادث تدعم هذه الأفكار .. وبضمنها فكرة حد الردة .. حد الكفر.. لقد اقترن حديث الردة بعهد أبي بكر .. وفي نظري أنّها كانت ردة عسكرية مالية.. ولم تكن ردة دينية.. لأنّه كان هناك فيهم من يؤمن بالله ومن يؤمن بالرسول ومن يصلي..

هم امتنعوا فقط عن تسليم الزكاة.. وطبعاً تسليم الزكاة للدولة هي النقطة الحساسة وهي من نوع العصيان المدني .. فلا يمكن أن نقول عليهم بأنّهم مرتدون بالمعنى الديني.. مع العلم أنّ كثيراً من الفقهاء والعلماء اجتهدوا بعد ذلك في موضوع تسليم الزكاة للدولة وتباينت الآراء في هذا الجانب.

نحن في دعوتنا التي نسميها – دعوة العمل الإسلامي – قلنا إننا لا نكفر أحداً على الإطلاق حتى من أقر على نفسه بالكفر.. وهي عملية مرفوضة شكلاً ومضموناً.. ليس من سلطتنا أن نحكم بالكفر على أحد.. هذه سلطة الله تعالى وحده لا ينازعه فيها أحد.

الله وحده هو الذي يفصل في ما كنا نختلف فيه.. هو الذي سيقول القول الفصل.. وفي يوم القيامة ليس في الدنيا.. يجب ألا نقيم في الدنيا محاكم (البابوات) ومحاكم التفتيش باسم الله وبالنيابة عنه .. الإسلام لا يقول بذلك.. والله لم يقل بذلك.

حتى الذي يقر على نفسه بالكفر يجب أن نقول له : والله أنت اللي تكفر نفسك .. قول على نفسك زي ما أنت عايز .. لكن نحن لا نقول عليك أنّك كافر.. لأننا لو قلنا أنّك كافر يمكن سندفعك الى التشدد ويمكن أن نؤثر عليك سلباً.. وإذا تركناك يمكن الله يهديك نحو الحق.

الحبيشي : هل يمكن اعتبار الاشتراكيين والماركسيين والعلمانيين والليبراليين العرب كافرين؟

البنا : طبعاً لا .. قطعاً لا أعتبرهم كفارا ، الاشتراكيون لا ينكرون وجود الله .. صحيح عندما كانت هناك حملة على الدين وعندما قيل إنّ " الدين أفيون الشعوب " وغيره ، فكان المقصود به المسيحية والكنيسة أكثر مما يقصد به الإسلام في حقيقة الحال.. وأنّ الدين كما كانت تعرضه الكنيسة ..إنما كان الهدف منه هو تخدير الجماهير وصرفها عن حقوقها .. وبالتالي فهي تعد أفيونا ولكنه لا ينطبق على الدين الحق الذي هو الاسلام بحسب عقيدتي .. وعلى كل حال فإنّ أنكار أو جحد الاشتراكيين الأوروبيين للأديان، يعود أصلاً الى انهم غير مسلمين .. فمن باب أولى أنه لا يمكن أن نحكم عليهم هذا بالنسبة للاشتراكيين في أوروبا.. أما الاشتراكيون المسلمون فلم يصل بهم الحال إلى درجة جحد وجود الله تعالى.

الحبيشي : الحقيقة هناك رجال دين اشتراكيون مسلمون.. وأنا أتذكر أنّ مرشد الأخوان المسلمين في سورية الشيخ مصطفى السباعي ألف كتابا عن " الاشتراكية الإسلامية " في الستينات؟

جمال البنا : عندي هذا الكتاب.. وممكن أعطيك نسخة من هذا الكتاب.. واعتقد أنّها فرصة لكي نعود مرة أخرى الى الحديث عن قضايا العمال والنقابات من منظور إسلامي.

الحبيشي : هذا دليل آخر على مدى اهتمامكم بقضايا العمال .. في الوقت الراهن، ما هو تصوّركم أستاذ جمال للمشاكل التي تواجهها الحركة العمالية أولاً في المجتمع العربي .. وارتباط هذه المشاكل بالبؤس المتزايد الذي يواجه الطبقة العاملة في المجتمع العربي والإسلامي خصوصاً في ظل تزايد الميول نحو اقتصاديات السوق ونحو خضوع الاقتصاد لآليات السوق؟

البنا : في حقيقة الحال أنّ الحركة النقابية تجمع العمال وتمثلهم في كل ما يتعلق بظروف وعَلاقات العمل .. والعامل يقضي في المصنع 8 أو 9 ساعات ويترتب على عمله في المصنع أجر.. هو مصدر حياته وينفق منه على أولاده.. يترتب عليه مستوى صحي معين يمكن أن يسيء إلى صحته.. يترتب عليه أنّه عندما يبلغ سن الشيخوخة قد لا يجد تأميناً أو لا يجد أي نوع من الضمان.

كل حياة العامل في حاضره ومستقبله تتبلور حول العمل .. وبالتالي فإنّ النقابة تكون مسؤولة عن حياة وحاضر ومستقبل هؤلاء العمال.. وفي معظم المجتمعات نجد أنّ العمال يمثلون جزءاً كبيراً من السكان خاصة إذا فهمنا كلمة العمل بالمعنى العام .. فهناك العمل الزراعي والعمل التجاري والخدمات والياقات البيضاء والمرأة العاملة.. كل هذا يدخل في جيش العمل حتى إننا نعتبر أنّ الزوجة عاملة إلى حد ما .. لأنها ربة بيت ووراء كل عامل زوجة وأبناء.. ولو حَسبنا مجموع هؤلاء نجد أنهم نصف السكان أو أكثر في كثير من الحالات فلابد في حقيقة الحال من أن تكفل لهؤلاء الضمانات والحمايات التي تحررهم من الفقر، من المرض، من التشرد، من الهوان، من الضعة.. فالحركة النقابية قامت بهذه المهنة المقدسة، ومن أجل هذا أنا باعتبر أنها في صميم العمل الإسلامي.

الناس الذين يتصورون أنّ هناك خلافاً بين الاسلام وفكرة العمل النقابي مخطئون .. خلاف لماذا؟ .. لننظر أولاً في الفكر النقابي نفسه .. الفكر النقابي دعوة للانتصاف، دعوة للعدل..والإسلام قام للانتصاف.. فهنا لقاء متلاحم بين الأهداف النقابية وأهداف الإسلام وهو العدل حتى الوسائل النقابية التي أسوأها هو الإضراب.

الإضراب ما هو إلا وسيلة سلبية للوصول إلى مطالب يراها أحد الفريقين أنّها مشروعة، ولا نقدر أن نحكم ونصادر حقه في تصوره لأننا فريق من فريقين كأصحاب أعمال أو الحكومة أو فريق من ثلاثة فرقاء.. العمال وأصحاب الأعمال.. والحكومة، فمطلبهم هو العدل، والوسيلة هي وسيلة سلبية وهي أن يمتنعوا عن العمل.

إذا كان الإسلام أجاز الوسيلة الإيجابية وهي الدفاع عن الحق بالجهاد وبدفع أي ظالم (ومن قتل دفاعاً عن ماله فهو شهيد).. يبقى هل معقول أن نحرم الاضراب باعتباره وسيلة سلبية للدفاع عن الحق.. لا يمكن هذا في حقيقة الحال.

نحن في ترجمتنا ولفهمنا لبعض الآيات القرآنية وجدنا مثلا آية كالآية (282) من سورة البقرة وهي الخاصة بالدين " يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ".. و.." فإن كان الذي عليه الحقّ سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ".. قلنا هذه آية تبلور الاتفاقيات الجماعية تماما، لأنّه يقول لك (إذا كان الذي عليه الحق لا يستطيع أن يملل) يملي العقد (فليملل وليه) إذا كان الذي عليه الحق ضعيفا أو سفيهاً ولا يستطيع أن يملي العقد فليملل وليه.. العامل لا يستطيع أن يقف موقف الندية من صاحب العمل.. وهذه مسألة معروفة جدا.. صاحب العمل عنده إدراك للقضايا وعنده جهاز كبير من المستشارين والخبراء .. وأيضا هو ليس طالبا لهذا العامل بالضبط .. وقانون العرض والطلب يجعل عدد العمال أكثر من عدد الوظائف .. العامل ضعيف ويكاد أن يكون أميا والعقد يمكن يكون سلبياً وغير منصف.. مثلا عندنا كان في بعض الشركات تتم كتابة العقود مع العمال باللغة الإنجليزية و بالتعبيرات القانونية التي لا يلم بها العامل.. إذن في هذه الحالة ضروري وجود ولي العامل .. من هو ولي العامل ؟ إنه النقابة .. النقابة هي الولي الحقيقي للعامل وهي التي تعمل الاتفاقيات الجماعية وهي أسلوب العمل النقابي في المجتمع الرأسمالي وهي أسلوب العمل النقابي في المجتمع الإسلامي في حقيقة الحال.

نحن أوجدنا تفسيرا نقابيا لآية قرآنية، وتم بدون أي تعسف أو تطويع وكان وصل إلى هذه القضية ولمس أوائلها عبدالقادر عودة .. لأنّ فكره قانوني فكان يعالجها من الناحية القانونية بالنسبة لأحد ما .. يكون عليه الحق ويكون ضعيفا.. ولكن بما أنّه ليس عنده فكر نقابي فإنه لم يمش إلى نهاية المطاف كما سرنا.. فكان ضرورياً أن تكون الحركة النقابية موجودة في المجتمع الإسلامي لكي تستكمل نقصاً كبيراً جداً .. نستكمله بالعمال ليس فقط من أجل مصلحتهم .. بل لأنهم هم القوامون على الإنتاج .. وبقدر ما يؤمنون بقضية العمل والإنتاج بقدر ما ينهضون بالدولة و يحققون التنمية.

لو كان هناك مجتمع إسلامي حقيقي يستلهم القيم الإسلامية لكانت مشكلة الإنتاج قد حلت تماما.. ولا يبقى هناك ما يسمى بالصراع الطبقي .. لأنه لو أن أصحاب الأعمال آمنوا بالقيم الإسلامية والعمال آمنوا بالقيم الإسلامية يمكن إننا نوجد مجتمعاً يضمن حقوق العمال فيه .. هي واجبات أصحاب الأعمال.. وواجبات أصحاب الأعمال هي حقوق للعمال بمعنى من عمل يريد الأجر العادل والمعاملة الكريمة ووقت العمل المحدد و.. الخ.. هذه هي واجبات صاحب العمل إذا كان مسلماً .. أما إذا كان صاحب العمل يظلم العمال والمستهلكين فهو ليس مسلماً .. لأنّ الظلم في الإسلام وفي القرآن مثل الكفر ومثل الشرك بالضبط .. ليس في الإسلام فرق بين الظلم والكفر.. فأي رأسمالي مسلم حقاً لابد أنه يكون عادلا.. أول حاجة يستشعرها هي العدل.. فلو أنه استشعر العدل فإنه سيؤدي للعامل الأجر السليم ولو استشعر الإخوة الإسلامية وينظر إلى العامل كأخ له كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينظر إلى أبي ذر الغفاري وينظر إلى عمار .. وكما كان عمر يقول عن أبي بكر الذي أعتق بلالا كلاما له مغزى عميق .. إذ كان يقول : " أبوبكر سيدنا وأعتق سيدنا " فلو سادت روح الإخوة الإسلامية لن يبقى هناك خلاف.

من حق صاحب العمل على العامل أنّ يعمل بإخلاص .. أن يوفر في المواد الأولية وأن يستخدم كل الوقت تماما .. إن حق صاحب العمل هو واجبات العامل نحوه.. أي عامل مسلم يعرف أنّ ربنا يراقبه ويعرف آداب الإسلام أنه لا يعمل تبذيرا حتى في المياه على نهر جارف وهو يتوضأ .. يعرف القيم الإسلامية وأنّ ربنا يراقبه وفي هذه الحال سيؤدي العمل بكامل إخلاص.. وحتى الآن فإنّ العامل المسلم تجد عنده هذا الاتجاه.

فمثلاً أنا مرة في المعتقل كنت أكلم أحد العمال من الإخوان سنة 48 كنت لابساً (بجامة) بأقول للعامل حقه وبتاعه.. بعدين بص لي كده فوجد خيطاً مقطوعاً في النسيج بتاع البجامة قال عامل النسيج بتاعك كان من واجبه قبل ما يطالب بحقه أن يلاحظ الخيط ده اللي طلع .. أد إيه يعني الإحساس بالواجب عند العامل المسلم عميق.. ففي هذه الحالة ليس ثمة مشكلة.. لا صراع طبقي .. فأما ينطلق أبناؤها من قيم واحدة يمكن جداً أنهم ينهضوا بالبلد .. فالقوة الخلاقة هي قوة العمال التي تكبت وتحارب وتوثق بالإقدام ولا يسمح لها لا من ناحية الدولة، ولا من ناحية أصحاب العمال ولا من ناحية المجتمع ككل.. قوة يُنظر إليها بازدراء .. لو أنّ المبادرات الخلاقة أطلقت لهؤلاء الناس لو عوملوا المعاملة الكريمة، معاملة الثقة ومنحوا حقهم، كما ينبغي سيكونون قوة منتجة بناءة في مجتمعهم.

الحركة النقابية أكبر تكتل جماهيري في العصر الحديث .. في مصرَ مثلاً .. رغم وهنها وضعفها .. اتحاد العمال يضم عدة ملايين شخص .. هذه الملايين غير موجودة في أي هيئة ثانية وأيضاً في بريطانيا الشيء نفسه .. وفي أمريكا الشيء نفسه.. وفي كل الدول تجد أنّ أكبر تكتل جماهيري هو الحركة النقابية .. لأنها تضم الشعب العامل كله.. فلو أنّ هذه الحركة حررت .. لو أنّ الأبواب أمامها فتحت فلو استحثت ومنحت الحق .. فإنها ستكون أكبر قوة تنهض بالمجتمع .. لأنّ تخلفنا هو تخلف إنتاجي .. تخلف في الصناعة في حقيقة الحال.

الصناعة هي رمز قوة العصر.. فطالما نحن متخلفون فيها سنتخلف في كل شيء ..من أجل هذا فالقضية ليست قضية عمال فقط، ولا نقابات .. هي قضية المجتمع في حقيقته.. يعني مدخلنا لإنهاض المجتمع عن طريق العمال الذين هم المجموعة المنتجة القوامة على الصناعة وعلى الإنتاج في المجتمع .. هؤلاء هم أقرب المجموعات للنهضة بالمجتمع.

الحبيشي : في كتابك (رسالة إلى الدعوات الإسلامية المعاصرة) تناولت بعض هذه الدعوات وبالذات بعض الحركات البارزة في ساحة العمل السياسي الإسلامي ووجهت بعض الانتقادات .. هل يمكن أن تجمل لنا المنطلقات التي قادتك إلى نقد واقع الحركات الإسلامية.

البنا : المنطلق الأكبر هو أنّ معظم الدعوات الإسلامية من إنشاء ما تسمى جماعات أهل السنة وقامت على أساس سلفي.. يدخل فيها الأخوان .. تدخل فيها الجماعة الإسلامية في باكستان... يدخل فيها حزب التحرير، تدخل فيها مجموعة الخوارج الجديدة، كما أطلقنا عليها، وهم جماعة التكفير والهجرة وجماعة الجهاد والقطبيون كما أطلقنا عليهم .. كل هذه الهيئات ذات طابع سلفي أصلا .. سيطرت عليها السلفية وتجد في هذا الكتاب نقدا لأثر السلفية على الدعوات الإسلامية وهو نقد مبسوط في فصل خاص.

الحبيشي : كيف تفسر علاقة الاخوان المسلمين بالثورة على النظام الإمامي الملكي المطلق في اليمن عام 1948 ، والتي أقامت نظاماً إمامياً دستورياً ، ثم سقطت بعد فترة قصيرة .. بمعنى كيف نفسر الصلات بين الإخوان المسلمين كحركة سياسية وثورة 1948 كحركة فكرية وممارسة عسكرية إنقلابية من داخل المذهب الزيدي الهادوي الذي يقول بحصر الحكم وتوريثه في إطار ضيق هو سلالة البطنين الهاشمية القرشية إنطلاقا من حديث منسوب الى النبي يقول : " الخلافة في قريش ما بقي من الناس إثنان ، ليس لأحد أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم الى قيام الساعة "

البنا : فعلاً .. هذه الحركة أسهم فيها الإخوان المسلمون وكان يرجى لها كل خير في تأسيس حكم شورى إسلامي أو كما كانوا يقولون عليها ثورة الدستور أو ثورة الميثاق سنة 48م.. وكانت هناك عَلاقة بين الأستاذ البنا رحمه الله وبين هذه الحركة.. ويعتبر هو من ضمن القوى التي وقفت معها ووراءها فترة طويلة ، وقد أرسل الى اليمن لهذا الغرض شخصا قياديا جزائريا من الاخوان المسلمين كان يعيش في مصر واسمه الفضيل الورتلاني إن لم تخنني الذاكرة .

وأنا عاصرت هذه المرحلة وأعجبت فيها فعلاً .. بل إني حاولت في يوم من الأيام أن أجمع كل ما كتب عنها في كتيب – وللأسف الشديد – ضاعت أصول هذا الكتيب بعد أن سلمته لدار النشر.. فكان هناك سابقة ولكن بصرف النظر عن هذه السابقة فإننا نجد بأنّه في أصول الفكر الزيدي توجد عناصر صالحة للبقاء .. فكرة العدالة الاجتماعية ، فكرة الحرية.. الإيمان بتغليب العقل على النقل .. كل هذه الأفكار تعد عناصر باقية .. ولكن فكره الأئمة في قريش لا يمكن أنها تظل موجودة .. انها دعوة للعصبية السلالية غير صالحة للتطبيق حتى لو قيل انها من السنة النبوية.. انها فكرة عصبية وسلالية لا يمكن أن تصدر عن الرسول بحسب ما ورد في كتاب البخاري الذي يعتبر هذا الحديث صحيحاً وثابتا ومجمعاً عليه وقطعي الورود.. هذه الفكرة العصبية السلالية لا يمكن أن تبقى ولاتجسد روح الاسلام وقيمه ..فين قريش .. هذا كلام مالوش أي وجود في الواقع .

الحبيشي : ولكن السلفيين من أهل السنة يزعمون بأن هناك إجماعا على حصر الإمامة في قريش .. وإنه لم يخالف هذا الإجماع سوى قلة قليلة من الخوارج والمعتزلة والأشاعرة بحسب زعمهم .. .. بمعنى أن فكرة حصر الخلافة أو الإمامة في قريش تعد جزءا من السنة النبوية التي يصر أهل الحديث على ربطها بالكتاب ويعتبرون تطبيقها واجبا شرعياً لا يجوز الخروج عنه أو الإمتناع عن تطبيقه وبالتالي فان الاقرار بحق كل مواطن للترشيح لهذا المنصب يعتبر امتناعاً عن تطبيق الشريعة التي تحصرها في قريش فقط !!؟

البنا : وأفرض أنّه حديث أو أنه من السنة .. خلاص انتهت قريش .. وفي الحديث النبوي ما ظَلمُوا .. وما أنصفوا.. فإذا ظلموا التحاهم الله كما يلتحي هذا القضيب، وهم ظلموا.

الحبيشي : هذا الحديث أورده البخاري وكل كتب الحديث .. و أكد عليه جميع أئمة المذاهب الشيعية والسنية على حد سواء .. كما شدد على وجوب الإلتزام به وتطبيقه كل من ابن تيمية وابن القيم والشوكاني وتابعيهم ..ويعتبرونه حديثا صحيحا في ثبات وروده وقطعية دلالاته .. بل ان الإمام أحمد بن حنبل والامام الشافعي والامام النووي والشيخ إبن تيمية وتلميذه ابن القيم واتباعهم ممن يسمون أنفسهم " أهل الحديث " لا يقرون لغير القرشي بالحكم والولاية العامة حتى قيام الساعة .. ولا يقرون أيضا بالقتال مع الدولة الا إذا كان يحكمها إمام أو خليفة قرشي !!؟؟

وإذا كنت ترى – وأنا أتفق معك - بأن قريشاً لم تعد موجودة ، لكن الهاشميين العرب يقولون أنهم حافظوا على بقاء سلالتهم عبر التاريخ .. وانهم بهذا حافظوا على خدمة الدعوة لإحياء نظام الخلافة أو نظام الإمامة الإسلامي الذي لا يكتسب شرعيته إلاّ بوجود خليفة أو إمام من قريش تطبيقا للسنة النبوية التي تأمر بذلك .. وهم ليسوا فقط من قريش بل من أشراف قريش بحسب زعمهم ؟

البنا : قلت لك حتى ولو كان هذا الأمر من السنة النبوية فهذا غير ممكن التطبيق .. وهناك أحاديث وروايات كثيرة منسوبة الى النبي عبر ما نقله الينا الرواة وشراح النصوص وشراح شراح النصوص التي يقول البخاري وكتب الحديث أنها صحيحة وثابتة الورود .. ولكن تطبيقها الآن غير ممكن .. بل مستحيل حتى لو كانت منسوبة الى السنة.

الحبيشي : هناك من يقول أن هذا الحديث لم يسمع عنه المسلمون إلا في السقيفة فقط ، ودليلهم في ذلك أنّ الصحابي الجليل سعد بن عباده الذي اعترض على ترشيح أبي بكر هو من صحابة الرسول الأوائل منذ دخوله المدينة .. ولاشك أنّه لم يسمع بهذا الحديث .. لأنه لو سمع بذلك الحديث لكان أول من يلتزم بالسنة النبوية .. وإذا كان قد سمع بهذا الحديث فإنه بموقفه هذا كان يعصي رسول الله ، علماً بأن سعد بن عبادة كان مؤمناً وفقيهاً ورعاً ومن أشد محبي وأنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ ؟؟

البنا : كما تفضلت لو كان هذا الحديث معروفاً لدى ابي بكر وعمر وسعد بن عباده وقالوه في السقيفة .. لكان فيه الفصل ولما احتاجا منافسة سعد بن عباده الذي رفض البيعة حتى مات.

الحبيشي : وماذا عن الأفكار الزيدية الهادوية التي تقول بحصر وتوريث الحكم في سلالة البطنين الهاشمية القرشية .. علماً بأن قسماً من الهادويين لا يزال حتى الآن يسعى لإقامة دولة دينية تحقق هذا الهدف استنادا الى ما يقولون انه سنة نبوية وردت في حديث الامامة في قريش الذي يؤمن به أهل السنة أيضا.. ما رأيكم ؟

البنا : هناك أفكار في الزيدية انتهى دورها .. وهناك فيها أيضاً أصول قائمة .. والإمامة في قريش ليست من الزيدية وإنما هي من معتقدات أهل السنة .. وزيد قال أصلا جميلا جدا .. قال (الحاكم الصالح وليس الفاضل).. هذا مبدأ رئيسي جدا في الزيدية .. وهذا هو المبدأ الذي يمكن أن تقوم عليه.. إمامة المفضول في وجود الفاضل.. وبناء عليه فهو المبدأ الأصلح.. وهذا مبدأ في حقيقة الحال لم يضعه زيد إنما انتهى إليه بفكره الإسلامي مع ما وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان مثلا يولي خالد بن الوليد الحرب .. وهو يعلم أنّ خالد ابن الوليد قد يرتكب تجاوزات ويقول اللهم إني أبرأ عليك مما فعل خالد .. ومع هذا يوليه لأنّ اجتهاده الخاطئ لا يُقاس بعبقريته في الحرب.. وتمكنه من الانتصار وهو المطلب الرئيسي.. وهو في هذا السبيل .. في هذا الهدف الأول يخطئ بعض الأخطاء فيغتفر هذه الأخطاء في سبيل الهدف الرئيسي .. خالد كان أصلح للحرب ومن أجل هذا ولي القيادة.. وأيضا عمرو بن العاص في غزوة السلاسل.. الخ.

فالمبدأ هو فكرة الصالح وليس الأفضل بمعنى الأكثر تقوى هو الذي يولي .. هذا مبدأ سليم وقائم على طول دائما.

الحبيشي : هل من كلمة أخيرة أستاذ جمال توجهها إلى كافة قوى المشروع الديمقراطي في اليمن، ثم إلى القوى الإسلامية بالذات في اليمن.. ونحن على أعتاب انتهاء المرحلة الانتقالية ..ونحو مزيد من الخطوات لتسريع وتجذير وتوسيع عملية الانتقال إلى الديمقراطية في هذا البلد المسلم؟؟

البنا : والله أنا أتمنى لو أنّ كل الهيئات الإسلامية وكل التكتلات والأحزاب يتعاون بعضها مع بعض ويصل الجميع إلى حد أدنى من الاتفاق، وتعوض نقاط الخلاف للمراحل التالية، وتطبيق المبدأ الذي أيضا كان الأستاذ البنا رحمه الله يكرره وهو أن نتعاون فيما نتفق عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه.. المهم أن يعرفوا أنهم جميعاً في خندق واحد .. وأنه إذا ضرب أحدهم فسيأتي الدور على الآخر.. فلا يستبد بهم قصر النظر أو الاستئثار أو المعاني الفردية.

في الحقيقة كلهم في معسكر واحد.. وأيضا نحن يا جماعة في الإسلام نجد أنّ عوامل الجمع والترابط أكثر بكثير من عوامل الاختلاف والفرقة .. فالمفروض أننا جميعاً نترابط ونحن هدفنا في حقيقة الحال وهدف الإسلام هو الحرية والديمقراطية.. وعليهم أن يعودوا الى القرآن، ولا يعودوا إلى الآباء والأسلاف.. وعليهم أن يقرأوا ويتأملوا جيداً كيف ندد القرآن بالذين قالوا " بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ".. فالقرآن واضح جداً أنّه مع الفكر ومع الحرية ومع الإنسان بصفة عامة.. فهذه المعاني جديرة بأنها تجعلهم يتلاقون على هذا الأساس ويدخلون المعركة متحدين بهذا المعنى .. وأن يجعلوا الفكر والنزاهة هو الحكم وليس الذات والمصلحة.

الحبيشي : وما ذا بالنسبة للعنف ؟؟

البنا : لا.. لا .. العنف مستبعد .. ولا قيمة للعنف مطلقاً بل لا قيمة للحكم نفسه أيضاً.. الحكم نفسه هو وسيلة من الوسائل.. وأنا قلت إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يَسْعَ الى الحكم .. ولكن الحكم جاءه .. يعني لم يحاول الحكم، ولكن بدأ يجهز الأشخاص والأفراد إلى غاية أن فتحت المدينة بالقرآن، كما قالت عائشة في إحدى كلماتها النافذة " فتحت المدينة بالقرآن ".

فتح المدينة بالقرآن عن طريق مصعب بن عمير وهو الذي أدى إلى فتح بدر من بعد بالسيف وبالحكم .. ولكن المهم أولاً وقبل كل شيء إننا نؤمن ونتفق ونخلص نوايانا للعمل العام .. وهذا في حد ذاته هو البداية الحقيقية لكل انتصار.. الحكم ما هو إلا وسيلة تمكننا من أن نفرغ المضمون الذي عندنا ونطرحه على ساحة العمل.. ولكن إذا كان المضمون نفسه سيئاً أو إذا كنا نحن حملة هذا المضمون تسيطر علينا الانتهازية والنفس الأمارة بالسوء والمصالح، طبعاً لا قيمة في هذا الحالة للحكم.. بل أنّ الحكم سيكشف عورتنا وسيبدي نقصنا.. فالمفروض إننا نتفق جميعاً وإننا نتخلص شيئاً فشيئاً من النزعات الذاتية المسيطرة علينا في حقيقة الأمر.

نحن عندنا عرض جميل جداً للإسلام .. وممكن تتنافس وتتحاور عبر الصحافة ووسائل الإعلام لأنها من أكبر القوى في العصر الحديث والتي يجب التركيز عليها ويجب الإفادة منها وإيفاؤها حقها.

كل ما يمكن أن يقال ويكون له مكان موضوعي تأخذ فيه وفي هذه الحالة تشترك كل هذه الهيئات في التوصل إلى الصيغة الإسلامية المثلى التي سيتفق عليها الجميع .. إذا صلحت الضمائر وصلح العزم .. كل حاجة ستصلح إن شاء الله.

القوى غير الإسلامية يجب أن تعلم أنّ الإسلام هو نهاية المطاف لها جميعاً.. لأنّ الإسلام فيه أفضل ما في الديمقراطية .. فيه الحرية التي هي أصل الديمقراطية .. ثم يزيد عليها ضمانات للأقليات.

الحبيشي : لكن هناك من يرى بأنّ الديمقراطية كفر، ويضع قيوداً على الحرية، وكما قلت لك في وقت سابق لا يعترف بحرية الفكر ولا يعترف بحرية الصحافة.. فالمشكلة ان الفكر الإسلامي حتى الآن لم يستقر على مجرى عام موحد.. يعني صحيح أن ثمة تنوعا في الحركات الإسلامية، ولكن هذا التنوع يتم في مجاري متوازية وليس في مجرى واحد.

**البنا : كل الأفكار التي تقاوم الحرية وغير